٢٠ ـ الحديث العشرون
«الحياء خلق أصيل»

عن أبي مسعود، عقبة بن عمرو الأنصاري البدري (رضي)، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى: اذا لم تستحيى فاصنع ما شئت» رواه البخاري. وفي رواية لأبي هريرة بلفظ: آخر ما أدرك الناس».

٢ـ أهميته:

* في نظم المتناثر، عُدّ حديث في معناه، وهو: «الحياء من الايمان»، من الاحاديث المتواترة[١].
* قال المناوي: عليه مدار الاسلام، من حيث أن الفعل إما أن يُستحيا منه وهو الحرام والمكروه، وخلاف الأولى، واجتنابها مشروع، أو لا يُستحيا منه وهو الواجب والمندوب والمباح، وفعلها مشروع [٢].
* وقال النووي: دخل الحديث في جوامع العلم.
* وقال المناوي: عده العسكري وغيره من الامثال [٣].

٣ـ شرحه:

أ) البيان اللغوي:

* ان مما أدرك: في رواية «آخر ما أدرك» والادراك: احاطة الشيء بكامله.
* الناس، الاشهر الاغلب بالضم، وفي رواية بالفتح: أي مما وصلهم، والناس مشتق من النوس: التحرك، او الانس، لان بعضهم يأنس ببعض، او النسيان.

---

(١) ص ٣٠. (٢) فيض القدير ص ٤٦. (٣) السابق ص ٤٧.

* اذا لم تستح: اي لم يكن ماتفعله مما يُستحيا منه عادة، لامن الله ولا من الناس. او اذا كنت لاتستحي من الله ولا تراقبه او تخافه.

* من كلام النبوة الاولى: من شرع الانبياء السابقين، لم ينسخ.

* وقد ورد في معنى الحياء اقوال كثيرة، واليك بعضها:

١ ـ خلق يبعث على ترك القبيح وفعل المليح، ينشأ من التيقن برقابة الله.

٢ ـ وعرف النبي ﷺ الاستحياء الحق من الله: ان تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وان تذكرت الموت والبلى.

٣ ـ انقباض النفس عن اتيان امر مخافة الذم[١]، وقيل انقباض يجده الانسان في نفسه يحمله على عدم ملابسة مايعاب به ويستقبح منه، ونقيضه عدم المبالاة بالقبيح.

٤ ـ خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[٢].

٥ ـ قال الجنيد: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء[٣].

ب) المعنى الاجمالي:

ضوابط السلوك البشري متعددة، ومنها الضوابط الدينية، والضوابط المدنية «الاجتماعية والقانونية»، **والضوابط الدينية**: الزجر والردع والترغيب والترهيب من الخارج «خارج النفس» ومنها ماينطلق من داخل النفس، والاسلام يوقّع على جميع هذه الضوابط، ويعتمد كل وسيلة تضمن كبح جماح النفس، وتلزم الانسان متابعة السير على الطريق المستقيم، وفي هذا الحديث الشريف مسلك لطيف من مسالك التقويم والتهذيب والضبط؛ إنه التوقيع على صفة من صفات النفس الغريزية الجبلية، التي راعتها جميع الاديان وأدركت قوة فاعليتها حين تكون في النفس على أتمها جبلة، وحين تصقلها رقابة الله تعالى واستشعار عظمته، هذه الصفة هي الحياء، والنبي الكريم في هذا الحديث، بما يعرف من قدر وفاعلية هذه الصفة في السلوك، وبما يشعر بذلك من خلال ما يتمتع به هو من مستوى عالٍ منها، حتى

---

(١) كنوز السنة ص ١٦٤.

(٢) الاذكار ص ٢٨١. (٣) السابق ص ٢٨١.

إنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها، انه بهذا وذاك يقرر انه اذا عدم أو ضعف هذا الوازع في الانسان، فإنه يتصرف دون مبالاة، أو تمييز لما هو حسن أو قبيح، حرام أو حلال، اما اذا وجد فانه كاف في توجيهه نحو ماهو حسن شرعاً وعقلا وعرفاً وصرفه عما هو شر وقبيح شرعاً وعقلا وعرفاً.

٤ - بعض مايرشد اليه:

* الحياء من اصول الاخلاق الكريمة، وهو من قضايا النبوة المجمع عليها.
* من فقد الحياء، فلا يستغرب منه أي سلوك قبيح.
* الحياء من خصال الايمان وشعبه، وهو لذلك لايأتي الا بالخير.
* اذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والاخلاق الدنيئة، والانهماك في كل فحشاء ومنكر[1].
* ليس كل ماكان من شرائع الامم السابقة شريعة لنا الا اذا أقرته شريعتنا، وهذا أصل من أصول الفقه مختلف فيه.
* إن الحرية المنفلتة من جميع القيود، والتي تنادي بها بعض الفلسلفات وتشجعها بعض الدول، هذه الحرية ليست من وسائل او مظاهر المدنية والحضارة والعمران، وانما هي معول من معاول الهدم والتخريب، لأنها تقتضي أن يتصرف المرء وفقاً لها كما يشاء وكما يهوى، والنفس أمارة بالسوء، والانسان ظلوم جهول إذا لم يلتزم بقيم دينيَّة وخلقية رادعة ووازعة، وأهم هذه القيم: الايمان والحياء واستقامة الضمير الذي يداوم على رقابة الله تعالى.
* إن للأخلاق في الاسلام وزناً كبيراً، ومنزلة عالية بل ان الاهتمام بضوابط السلوك ميراث مشترك وتراث انساني قديم، ومايهدم قيم الحضارة شيء مثل إهمال الاخلاق.
* الاسلام في كل تشريعاته دين الفطرة يتجه اليها، وينطلق منها، ويراعي استعداداتها ونزعاتها، وذلك ضمن حدود الحكمة الالهية، والاهداف والمثل العليا، فهو لذلك لايريد أن يفرض أحكامه على النفس فرضاً مبتوت الصلة

---

(١) جامع العلوم / ص ١٧٤، ١٧٦.

بنوازعها وبواعثها، وانما هما خطان متوازيان أو خطوط متقابلة تحفظ للنفس توازنها واستقرارها، فحياء من الله، يوازيه حياء من الناس، ويوازيهما او يسندهما حياء مركوز في طبيعة الفطرة البشرية، وهنا يظفر السلوك بأقوى واقوم ضوابطه وبواعثه، ليظفر تبعاً لذلك بالعطاء المستمر والخير في جميع الاحوال والظروف.

٥ ـ بعض تطبيقات الحديث:

* قال الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان فارس اهل الشام: تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم ادركني الورع.
* وعن بعضهم قال: رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة. فاستحالت ديانة.
* وعن سلمان الفارسي: ان الله اذا أراد بعبد هلاكاً نزع منه الحياء، فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتاً ممقتاً، فاذا كان مقيتاً نزع منه الامانة فلم تلقه الا خائناً مخوناً، فاذا كان خائناً مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظاً غليظاً، فاذا كان فظاً نزع ربقة الايمان من عنقه، فلم تلقه الا شيطاناً لعيناً[١].
* قال النووي: ان مايفعله كثير من الناس من اهمال الوعظ في حق كبار المراتب وتوهمهم ان ذلك حياء فخطأ صريح وجهل قبيح، فان ذلك ليس بحياء وانما هو عجز[٢].
* قال الشاعر:

اذا لم تخشَ عاقبة الليالي : ولم تَستَحْي فاصنع ماتَشاء
فلاوالله مافي العيش خير : ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير : ويبقى العود مابقي اللحاء[٣].

* قال حكيم: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه[٤].
* قال الماوردي: ليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح، ولازاجر عن محظور، فهو يقدم على مايشاء ويأتي مايهوى، وبذلك جاء الخبر، ثم ذكر الحديث[٥].

---

(١) الجامع ص ١٧٥. (٢) الاذكار ص ٢٨١. (٣) ادب الدنيا والدين ص ٢٤١. (٤) السابق ص ٢٤١.

(٥) المصدر السابق ص ٢٤١.

* روى ان حذيفة بن اليمان اتى الجمعة، فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكب الطريق عن الناس، وقال: لاخير فيمن لايستحي من الناس[1].

* قال الشاعر: اذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً

وتستحْي مخلوقاً فماشئت فاصنع[2].

* قال أديب: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر[3].

* مما يؤكد أصالة هذا الحديث كقاعدة خلقية اجتماعية ذات صفة الزامية جريانه بين الناس جريان المثل حتى عَدّهُ العسكري وغيره من الامثال كما سبق.

٦ ـ مناقشة حول الحديث

س١) عرف الحياء؟

س٢) يذكرون للحياء انواعاً ثلاثة فماهي؟ جـ٢) الحياء من الله ب) الحياء من الناس جـ) الحياء من النفس، اما **الاول**، فيكون بامتثال الاوامر الالهية، وهو ينشأ من صحة الدين وقوة اليقين وهو المراد بقوله ﷺ: «الحياء من الايمان» **وأما الثاني**، فيكون بكف الاذى، وترك المجاهره بالقبيح، وقد ينشأ من كمال المروءة وحب الثناء، وأما **الحياء من النفس**، فبالعفة وصيانة الخلوات، اي لايتصرف في السر بما يشين، بل يتشابه سره وعلانيته، وهذا النوع قد ينشأ من فضيلة النفس وحسن السريرة، والناس في هذا النوع متفاوتون بما جبلوا عليه من حظ الحياء.

س٣) هل ترك السؤال عن مسائل الدين.، او ترك النهي عن المنكر من الحياء المشروع؟

جـ٣) لا، وانما هو من الخجل المذموم، والعجز والخور، كما ورد عن عائشة

---

(١) السابق ص ٢٤١. (٢) السابق ص ٢٤٣. (٣) السابق ص ٢٤٣.

(رضي): نعم نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن[1].

س٤) ورد في مدح الحياء وبيان فضله اخبار وآثار كثيرة، اذكر شيئاً منها

جـ٤) أ) قال ﷺ: الحياء خير كله، وقال: «الحياء شعبة من الايمان» «الحياء من الايمان» ب) عن ابن عباس (رضي): «الحياء والايمان في قرن فاذا نزع الحياء تبعه الاخر»[2]. جـ) قال ﷺ لأشج عبد القيس: «ان فيك لخصلتين يحبهما الله، قلت: ماهما؟ قال: الحلم والحياء»[3]، وقال ﷺ: الحياء لايأتي الا بخير[4].

س٥) مامعنى: ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى

جـ٥) أ) مما اتفق عليه الانبياء، لانه جاء في زمن النبوة الاولى «آدم»[6]. واستمر الى شرعنا. ب) أوآخر ما وجدوا مأموراً به في زمن النبوة الاولى الى ان ادركناه في شرعنا، ولم ينسخ في ملة من الملل، بل كلّ نبي ندب اليه، ولم يبدل فيما بدل من شرائعهم. جـ) مما بقي فادركوه من كلام الانبياء السابقين.

س٦) ما الغاية من تقييده بقوله: من كلام النبوة الاولى؟

جـ٦) أ) الاشعار بأنه من نتائج الوحي، ثم تطابقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول. (ب) الإيذان باتفاق كلمة الانبياء جميعهم على استحبابه.

س٧) كيف يكون الاستحياء الحقيقي من الله؟ جـ٧) بان تحفظ الرأس وماوعى، وتحفظ البطن وماحوى، وتذكر الموت والبلى . . . الخ[4].

س٨) ماهو منشأ الحياء جـ٨) قد أجيب على ذلك عند الكلام على انواع الحياء وأضيف هنا: أ) ينشأ عن اعتقاد اطلاعه سبحانه علينا (ب) انه منحة من الله تعالى، واعني ماكان منه غريزياً جـ) قال ابن رجب: وقد يتولد الحياء من مطالعة نعمه تعالى ورؤية التقصير في شكرها[5].

---

(١) ليس هذا على إطلاقه؛ فقد استحيا علي (رضي) ان يسأل النبي ﷺ عن حكم المذي وكلف المقداد بالسؤال لمكان فاطمة، وهذا حياء حشمة /الرسالة القشيرية ص ٩٩.

(٢)) الجامع ص ١٧٥.

(٣) الجامع ص ١٧٥، وفي رواية: الحلم والاناة.

(٤) الاتحافات ص ١٣٥. (٤) انظر شرح الحديث مفصلاً في كنوز السنة. (٥) الجامع ص ١٧٦.

س٩) مامعنى قوله ﷺ: فاصنع ماشئت.

جـ٩) أ) انه امر بمعنى التهديد، مراد به الذم، وعليه فالمعنى: اذا لم يكن حياء فاعمل ماشئت، فستلقى جزاءه، وهو مثل قوله تعالى: «اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير»، كأنه يقول: اذا ابيت لزوم الحياء، فأنت اهل لأن يقال لك: افعل ماشئت. (ب) أمر بمعنى الخبر: اي من لم يستحي صنع ماشاء، لان المانع من فعل القبائح هو الحياء. (جـ) على حقيقته، بمعنى: اذا كنت في امورك آمناً من الحياء في فعلها، لكونها على القانون الشرعي، اي مما لايستحيا منه شرعاً، فاصنع ماشئت ولا عليك من لوم اللائمين، فان ما أباحه الشرع لاحياء في فعله، واليه جنح النووي رحمه الله.

س١٠) كيف يعتبر الحياء من الايمان مع انه خلق غريزي؟

جـ١٠) قال النووي: وانما جعل من الايمان لانه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر اعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج الى اكتساب ونيه وعلم، فهو بذلك من الإيمان، ولكونه ايضاً باعثاً على أفعال البر ومانعاً من المعاصي[1]، وقال غيره: انه كذلك من حيث كونه باعثاً على امتثال المأمور واجتناب المنهي، وليس من حيث كونه خلقاً غريزياً فلا اشكال على ذلك، ورأيُ النووي أمثل واشمل.

س١١) بين صلة الحديث بالاربعين؟

جـ١١) أ) يتصل بحديث ١٨ ـ اتق الله حيثما كنت، قال عمر (رضي): من استحيا اختفى، ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقى[2]. (ب) وبحديث الايمان والاسلام والاحسان، فإن الحياء المكتسب من معرفة عظمة الله واستشعار قربه واطلاعه هو من اعلى خصال الايمان ودرجات الاحسان.

(جـ) وبحديث ٢٧ ـ البر والاثم، فكلاهما يرتكز على الضمير المؤمن الحي والوازع النفسي، خرج الطبراني من حديث أبي مالك الاشعري، قال: قلت يارسول الله: ماتمام البر؟ قال: «أن تعمل في السر عمل العلانية» وهذا هو الحياء الحقيقي[3].

---

(١) شرح مسلم/ المجلد الاول ج٢ ص ٥. (٢) الجامع ص ١٧٥. (٣) السابق ١٧٦.